مجالات استثمار اللغة

محمد مشري، جامعة سكيكدة، الجزائر

ملخص
تغيّرت نمطيّة تفكير العقول المعاصرة، حيث اتّجهت اهتماماتها نحو بديل آخر للاستغلال من خلال الانفتاح اللاّمشروط على الآخر، وهذا ما تفسّره عناية منظّري العولمة الذين صرفوا كلّ جهدهم تلقاء اللغة بصفة خاصة والإرث الثّقافي بصفة عامة: فللعولمة آليّاتها التي يمكن أن تستثمر إمكانات اللّغة العربية وثروتها اللاّمتناهية لاكتساح العقل العربي بلغته وفكر جديد: أو تأهيل عقول غير عربيّة لبناء أنموذج حضاري آخر يستمدّ مقوّماته من تاريخ هذه اللّغة. وهذا المقال نريد من خلاله أن نبيّن أهمّ مجالات المعرفة الإنسانيّة التي يمكن أن تستثمر فيها اللّغة العربيّة على نطاق أوسع، حيث تكون حقلا خصبا لاستقطاب عقول غيرنا لفهم فكرنا حاضره وماضيه ومرجعيّته التّاريخيّة العلميّة لا التّاريخانيّة.

Abstract
The way contemporary minds think has changed as their interests are directed to alternative exploitation through non-conditional openness to the other . This point is stressed by globalization theorists who concentrate their efforts on language in particular and cultural heritage in general. Globalization has its own mechanisms that can harness the potentialities of the Arabic language and its wealth to change the Arab mind through its language by means of new ideas or the habilitation of non-Arab minds to build a new civilization model inspired by the history of that language. The main concern of the article is to show the most important realms of human knowledge in which Arabic could be put to good use on a larger scale, making it more attractive to other minds to interact with Arab ones.

❖❖❖

نص الإشكالية

ما دامت اللّغة تمثّل أصدق مرآة عاكسة لفكر أيّ أمّة، فما هي أهمّ المجالات التي توظّف اللّغة ويمكن لمنظّري العولمة أن يشتغلوا عليها ويستثمروها في صناعة عقليّة الآخر؟

توطئة

تعدّ اللّغة بوصفها ظاهرة اجتماعيّة من أرقى المكتسبات الإنسانيّة التي تمثّل القلب النّابض لتأسيس المشروع الحضاري من خلال منتجه الفكري، الذي يعمل على تغذية العقول وتوجيهها نحو بناء الرّصيد المعرفي الذي يزيد في نموّ الوعي ورقيّه لفهم أبجديّات تأصيل الوجود، فبوساطة الملكة اللّغويّة التي تساعد على تشييد أبعاد الفكر في العقل: بوصفها خلفيّة تقف وراء كلّ

نشاط فكري يبدأ معنويّا ثمّ يتحوّل إلى شيء ماديّ، إن كانت له القابليّة لذلك. لأنّنا نفكّر باللّغة. أوّلا: فهي الوقود الأوّل الذي يحمل الذّهن على التصوّر ووضع الحدود العامّة لأيّ فكرة. لذلك غالبا ما يقوّم الأثر الفكري انطلاقا ممّا تنتجه الأمّة من أعمال لها القدرة على البقاء أو أن تحتلّ مكانة في منصّة الفكر العالمي؛ لأنّ ذلك من شأنه أن يعبّر تماما عن أصالة هذا المنتج الذي ينسب آليّا للأمّة باسم لغتها. حيث تطبعه هذه الأخيرة بختمها ويكون وليدها الشرعي لا يزاحمها فيه غيرها.

فاللّغة هي التي تنزع بالفكر نحو الإبداع وتحقّق له لبنات تشييده قبل أن يتجسّد في الواقع شيئا ماديّا، أو تنسج له رؤية معنويّة تضيف جديدا فيما هو موجود في ميدان من ميادينه، لهذا كان من الضّروري أن تتغيّر النّظرة إلى اللّغة لا بوصفها من أهمّ وسائل التّبليغ والاتّصال ولكن لكونها تعمل على بلورة الأفق النّظري للعقل الإنساني؛ المعتمد على ممارساتها واكتسابها بما يحقّق له الاستهلاك الطّبيعي لمعجمها في حدود معارفها التي يحويها مخزونه. وما عمليّة التعلّم الأولى إلاّ خير شاهد على ذلك. فمن ولج أبواب المدارس لا يستهلّ حياته العلميّة إلاّ بالقصد نحو اكتساب اللّغة التي إن لم يتّخذها وسيلة صحيحةَ البناء، والأخذ عند مجالات الاستعمال، قصرت به كلّ السّبل لإدراك غايته في بقيّة المعارف. فالمتعلّم ينشأ أوّل ما ينشأ على معرفة الوسيلة لا الغاية. فإذا هو اضطرب في تحصيل مرتكزات الوسيلة وطرق توظيفها انعكس ذلك سلبا على محصوله العلمي برمّته. لذا كثيرا ما نجد أولئك الذين لهم مواهب فكريّة لا تعزوهم غالبا اللّغة. بل هم على درجة عالية من المرونة بالتكيّف معها وتوظيفها بحسب نمطيّة المبتغى.

وما نظريّة البرمجة اللّغويّة إلاّ شكل من أشكال استغلال اللّغة لإعادة ترتيب محتويات العقل وفرز مخزونه ومن ثمّ شحنه بما يزيده قوّة وثراء، حتّى وإن بدت العمليّة في ظاهرها مراوغة للعقل الإنساني ومحاولة للاتّجاه به نحو العولبة من الدّاخل؛ أي جعله قابلا للتّفريغ والشّحن متى أريد له ذلك. غير أنّ ماديّة اللّغة تكمن في كلّ ذلك في قدرتها على أن تكون بديلا نوعيّا لزرع مقدّمات التّفكير السويّ، وإعادة بعث مكونات العقل الفاعلة التي كثيرا ما يعمل المرء على إقبارها؛ خاصّة إن لم تكن البيئة حافزا على التّغيير النّمطي للفكر، ودافعا له نحو تأهيل المكتسب الفطري المتمثّل في العمليّات العليا للعقل التي يعدّ هذا الفكر من أرقاها.

وقد لا يكون للّغة كبير أثر ظاهر في زمن إنتاجها وتلقّيها؛ لأنّها ذات طبيعة تأثيريّة طويلة المدى إن كانت تحمل في طيّاتها مفعولا حقيقيّا يستوعبه عقل نشط واعي، وإن كان خاملا استعنّا باللّغة بوصفها الوقود الأوّلي الذي يعمل على تحريكه، ومجرّد تفعيل اللّغة في هذا المنحى يعدّ مدرجة ابتدائيّة لما سمّيناه سابقا التّأسيس الأوّلي لتأهيل العقل؛ لأنّ ثراء الإنتاج الأدبي مثلا لم يتأتّ للمبدعين إلاّ بكثافة المحصول اللّغوي المعتمد عليه في بناء مختلف الأنساق الجمليّة، والأشكال النصيّة التي لا تذهب بعيدا في التّأثير في عقل القارئ وتأخذ بلبّه، لولا تلك المساعدة الضمنيّة التي تقدّمها مفردات اللّغة بما تحمله من دلالات لذهن الأديب المبدع؛ الذي قد تضيق به السّبل إن لم يجد لفظا يكون له خير سفير عن معنى هو في ذهنه حبيس، يريد أن يبلغ به شأوا في

بؤرة فكر المتلقّي وخياله، فازدواجيّة التّعبير والتّصوير التي تتيحها مفردات اللّغة لم تجتمع لغيرها من وسائل التّبليغ.

إنّ اللّغة هي أداة التّفكير وأداة البيان، لا يكاد أحد يرتاب في أنّ هذا حقّ، وأنّه واضح شديد الوضوح، ومن أجل أنّه حقّ تتلقّاه بديهة العقل بالتّسليم، ومن أجل أنّه واضح، تستشعر النّفس أنّه معنى سهل يسير قريب، بيد أنّ المتأمّل يقف حائرا يتلدّد (أي يتلفّت يمينا وشمالا من حيرته وتبلّده) لأنّ هذه القضيّة على سلامتها ووضوحها، تنتهي إلى نتيجة معقّدة أشدّ التّعقيد، وذلك أنّ اللّغة ألفاظ وهذه الألفاظ مركّبة في جمل ومن الألفاظ والجمل يخرج المعنى. والنّظرة الأولى توجب أن يكون (اللّفظ) محدود المعنى المفرد، وأن يكون التّركيب محدود الوجوه الدالّة التي تقضي استحداث المعنى المركّب الذي يراد إبلاغه السّامعين أو القارئين.

ولكن هل هذا صحيح؟ أصحيح أنّ ألفاظ اللّغة محدودة المعاني حدّا قاطعا واضحا في كلّ لسان، وفي كلّ زمن من أزمنة هذا اللّسان؟ أو صحيح أيضا أنّ تركيب ألفاظ اللّغة: أي الجمل وأساليبها المختلفة محدّدة هي الأخرى تحديدا قاطعا واضحا في كلّ لسان، وفي كلّ زمن من أزمنة هذا اللّسان؟. إنّ أقلّ التأمّل يهدي إلى بطلان هذه النظرة الأولى بطلانا يفضي أحيانا إلى اليأس من قدرة اللّغات عن الإبانة، وإلى الشكّ كلّ الشكّ في القضيّة التي سلّمت بها بديهة العقل، واستشعرت يسرها وسهولتها سرائر النّفوس، ومعنى ذلك أنّ ادّعاءنا أنّ اللّغة هي أداة التّفكير وأداة البيان، قضيّة غامضة، قضيّة موهمة، قضيّة إذا امتحنتها وجدتها مطابقة للواقع.[1]

عبارات الأستاذ "محمود شاكر" هذه وتساؤله هو الذي دفعني لسرد الأبجديّات الأوّليّة التي ذكرتها في مطلع هذه التّوطئة؛ لأنّ خلافنا حول واقع التّأويل اللّغوي للاستعمال هو الذي يفرض علينا الخوض في الحديث عن إمكانات استثمار اللّغة عند حدود التّلاعب بمفرداتها، وتحميلها شحنا دلاليّة ليست مطابقة لمقصدها الأوّل الذي تعارفنا عليه من خلال مفردات المعجم. أو تلك المعاني التي سوّقتها لنا النّصوص التّراثيّة بما فيها القرآن الكريم والسنة الشّريفة. فألفاظ تلك النّصوص كذلك كانت تحمل أكثر من وجه للدّلالة؛ حيث استغلّتها الطّوائف الفكريّة لإحقاق حقّ أو إبطال باطل أو تلوين أحدهما بالآخر، غير أنّ واقع المفردات اللّغويّة في نصوص الخطاب المعاصر باتت أكثر انفتاحا على كلّ مظنون لا يحيل على شيء محدّد، بل إنّ استعمال المفردة الواحدة يتغيّر من شخص إلى آخر عند سماعه له، حيث يتبادر إلى ذهنه معنى غير ذلك الذي يتبادر إلى غيره، وهذا حتما ما يجعل من اللّغة المعاصرة أكثر ميوعة، تزيد من فوضى التّفكير واضطراب العقل عند إرادته التّجاوب مع من هم حوله.

فلغة كهذه علم الكلّ خصيصتها وقدرتها على أن تكون أداة طيّعة في يد كلّ من أحسن استخدامها، واستغلّ إمكاناتها لترويض العقول، وبناء فكر معاصر يتلاءم ومبتغيات العولمة، فهذا ما أوجب مجيء هذا المقال لنبيّن من خلاله أهمّ المجالات الفكريّة التي استغلّها غيرنا واستثمروا اللّغة فيها أيّما استثمار للوصول إلى ما هم عليه من تمكّن وسيطرة، حتّى بات العقل العربي ينجذب إليهم كلّما دعاه داع لذلك.

أوّلا: الاستشراق أصل من أصول العولمة المعاصرة

لقد وفّرت البيئة الاستعماريّة مرتعا خصبا لتغلغل فلول المستشرقين، الذين لولا تهذيب التّراث العربي لسلوكاتهم الفكريّة لانقضّوا على مخلّفات الحضارة العربيّة، ونهبوا كلّ ما فيها دون أن ينسبوا الفضل لأهله. كما هي الحال بالنّسبة للأمركة المعاصرة عند ولوجها محاضن الحضارات الإنسانيّة: حيث تحاول استئصال كلّ منابتها وجذور فكرها وتعمل على محورته، بعدما تقوم باستبعاده عن مظانّه الأصيلة ردحا من الزّمن: حيث تسبغه بألوان ومساحيق من شظايا فكر هدّام. ثمّ تعولبه للإنسانيّة في شكل فكر مستحدث تزعم ملكيّته وأحقّية ترشيد استعماله واستهلاكه بالطّرق التي ترى هي نجاعتها.

كذا كان حال المستشرقين يكون لولا القداسة التي استبطنها التّراث العربي، واستكساها رداء، وأشاعها على الفكر العربي، ممّا أحال كلّ مترصّد لسبله إلى شخص مفكّر، يعرف حقّ العلم والمعرفة و ينزلهما منزلتهما في العقل البشري دون الاقتراب من الأصول والاستخفاف بها، كما هي عليه الحال في الوقت الحاضر الذي أتى فيه تيّار العولمة على استباحة كلّ مقدّس، واستهجان كلّ منبعث حضاري له قيمة إنسانيّة تعمل على إنارة العقول وتبصيرها بالدّور الذي يجب أن تلعبه لحفظ واقعيّة الحياة البشريّة، والابتعاد بها عن صور الاستغوال وقانون الغاب: الذي لا يؤسّس للتّعايش الطّبيعي بل هو نفسه قد أحيل إلى معترك تهويج الآخر، وجعله أكثر همجيّة تنأى عن كلّ قيمة بشريّة ممكنة الاستحضار في واقع التّعامل الإنساني دون مراعاة جنسه.

إنّ استغفال العقل والزجّ به في غياهب اللاّوعي بالانتماء، هو ما حاول الغلاة تأسيسه حين استزلّوا أقدام بعض النّخبة نحو التّشكيك فيما هو أصل، على الأقل من منظور العقد الفكري: الذي نسلّم به للبناء دون الشعور بحتميّة الانهيار، فالبحث في فكرة الأصل عندهم مظنّة الوهم وقدح في مقدّمات السّؤال عن الحقيقة المعرفيّة، وقد جعلوا من عدم الاحتكام إلى الأصل أصلا ينخرون به في ثوابت هذه الأمّة، حتّى نشأ الجيل المائع الذي لا يريد أن يصدّق بعبقريّة هذه الحضارة، ولا يحاول التّأسيس انطلاقا من حفره عميقا في جذر المرتكز عند كلّ محاولة للقذف بحجارة الاتّهام، ثمّ العلوّ بمستخلص الذبّ لتشييد المبتغى وإعطائه ملمحا يبدو ظاهرا أقرب إلى الحقيقة، ومن قبله السمّ الزّعاف الممزوج بقشور المقوّمات الصّحيحة: التي إن أحسّ بها من له ذوق عرف كنهها وبعدها الهدّام الذي لا ينطلي على كلّ مستبز بأصالة فكر هذه الأمّة.

إنّ جهود المستشرقين بدأت باستغلال التّراث ومحاولة استثماره لبناء نهضة فكر حديث، بعدما شحّت مواردهم ولم يجدوا قوّة من داخل فكرهم يستبعثهم من جديد: لأنّهم لم يعرفوا في مطلع القرن السّابع عشر وما بعده إلاّ فكرا واحدا هو البحث عن مصادر الثّروة الماديّة التي أعمت بصائرهم، وكادت أن تقضي على وجودهم الذي تأسّس أصلا على صراع المصالح والمنافع، فعند حلولهم أرض المشرق اكتشفوا ذخيرة فكريّة أهالت عقولهم ورأوا فيها الخلاص لما هم فيه من

الجفاف والعوز المفقر الذي استقذهم منه التّراث العربي، وليست عصبيّة الانتماء هي التي تحاول طمس معالم الأثر الإيجابي الذي حقّقه المستشرقون لهذه الأمّة؛ لكنّ عين العقل لابدّ أن تدرك بأنّ ما كان استشراقا هو في الحقيقة استشراف لبناء غد العولمة، الذي يسمح باستغلال الأرض والفرد على حدّ سواء، وجعل المستودع مفتوحا لاستغلاله متى أريد ذلك، فالمستشرقون لم يكونوا أبعد عمّا نواه المبشّرون لأنّ كليهما وجهان لعملة واحدة تمّ تصريف قيمتها بإحكام، حيث تمّ تداولها زمنا ترسّخ من خلاله في عقول النّاشئة ألاّ مستقبل للفرد إلاّ في ظلّ عبوديّته للغرب: الذي زرع نبتة الاستشراق وأحسن رعايتها حتّى أتت أكلها كاملا غير منقوص، بعدما استثبتت جذورا ليست غريبة عن الأرض بل لها قابليّة العيش عليها والتّعايش مع أهلها، ليشربوهم ما لم يستطع الغرب إشرابهم إيّاه ولو بمذاق مخالف استساغوه هم أنفسهم تدريجيّا مع مرور الوقت. وقد تجسّد ذلك جليّا في ظلّ انحسار المدّ الحضاري الأصيل وخفوت صوت المنادين بالتثبّت والانتماء، ولا يعني هذا المناداة بالتّقوقع حول الذّات ورفض الآخر، وإنّما القصد عدم الانصهار في بوتقة فكره واتّخاذه نسخة تستخرج منها مثيلات كثيرة لا تعرف للمرجعيّة أصلا ولا للأصل قيمة: قيمة المرجعيّة التي تكون قادرة على أن تؤسّس للآخر وتفيض عليه بمقدّراتها لا أن تفتح عليه وتهدم كلّ حاجز ليتوغّل من خلاله حامل شعار تحرير الفكر، ويتغلغل قصد الاستنفاذ والسّيطرة المهيمنة التي لا تترك حقّا لمستحقّ بل تناوشه وتسعى لاسترهابه.

فهذا المقال يعمل على توضيح بعض الحقائق التي بات أكثرها إرهاصات وشيكة إن لم تكن أكيدة قد استفحلت فعلا في ظلّ تسارع مدّ العولمة وتيّارها الجارف، ومن تلك الحقائق محاولة الاعتماد على اللّغة لا بوصفها بديلا أو وسيطا للتّواصل، وإنّما وسيلة لتأهيل العقل العربي وجعله أكثر طواعيّة لمطلب الآخر، حيث بات من المعروف أنّ لغتنا هذه لم تعد حكرا علينا بل هناك من يتقنونها ويعلمون أصولها وأثرها، فضلا عن كونهم يعلمون واقع استثمارها للوصول إلى بغيتهم. وخير من يمثّل هذه النّخبة هم المستشرقون الذين عرفوا أسرار هذه اللّغة ومكنوناتها واطّلعوا على أكبر قدر من التّراث، وعملوا على تحقيق جزء مهمّ منه أسهم حقّا في ابتعاث الكثير من الكنوز المعرفيّة من مرقدها وإحياء موات هذه الأمّة، بعد أن كادت أصولها تضيع بسبب نسيانها وجهلها. فقد نبغ عدد كبير من أولئك المستشرقين وسجّلوا حضورهم في تاريخ هذه اللّغة جنبا إلى جنب مع علماء السّلف، قبل أن يتولّى طلبتهم من العرب بعد ذلك مهمّة التّحقيق واستخراج المخطوط من مدافنه، لكنّ السّؤال المطروح هو ماذا قدّمت هذه اللّغة للمستشرقين قبل أن يردّوا لها جزءا يسيرا من جميلها؟

إنّ المستشرقين لم يأخذوا بيد هذه الأمّة من أجل النّهوض بحضارتها والكشف عن ماضيها التّليد، بل إنّ همّهم الأوّل كان دراسة الطّبيعة الاجتماعيّة والإنسانية لهذه الأمّة، "فالبحث في اللّغة هو بحث في الإنسان نفسه"[2] وهو ما تحقّق لهم عيانا وواقعا ملموسا بعدما غاصوا في مظانّ تلك المعارف التي حوتها مؤلّفات التّراث، حيث اكتشفوا حقيقة مستنهض هذه الأمّة وهو اللّغة التي تعزّزت بترس لن يستطيع أحد كسره أو الوصول إليها من خلاله: إنّه القرآن الكريم الذي نزل بلسانها وأحكم قبضتها على نفوس وعقول العرب، بل إنّه جرّ أمما بأسرها إلى اعتناق دين لا

تفهم شرائعه إلاّ بمعرفة هذه اللّغة: حيث كانت مطلب كلّ العلوم وحثّ العلماء بإلحاح طلبتهم قديما على التمكّن من أصولها وفروعها بالرّغم من كثرة مسائلها. إلاّ أنّ الفكر الاستشراقي بعد تمكّنه من تلك الأصول والفروع ومكابدة المشاقّ نفسها التي كان يعانيها غيرهم في طلبها، توصّل في النّهاية إلى بغيته التي كان يصبو إليها: بأن يصير المنظّر الأوّل لمسار فكر هذه الأمّة انطلاقا من أصولها وبتوظيف لغتها.[3]

حيث أصبح المستشرقون في نظر طلبتهم من العرب علماء أجلاّء يجب حذو حذوهم والأخذ عنهم دون ريب أو شكّ، لكنّ هذا المعتقد لم يدم طويلا فسرعان ما انتبه جيل من أولئك الطّلبة وعرفوا ما يدسّه أولئك من سمّ زعاف في عمق الوعي والفكر، فهم كلّما حقّقوا كتابا إلاّ و استبطنوا زراعة الزّلل والخطأ ضمنه قصد توريثه رويدا لمن يقرأ النّسخة المحقّقة؛ لأنّه لا يمكنه العودة للأصل وهو المخطوط نظرا لانعدام وسائل قراءته قراءة علميّة كما تسنّى ذلك للمستشرقين، والدّليل على ذلك هو تلك المزاعم التي أثاروها عندما أتيحت لهم فرصة تحقيق التّراث الدّيني بما يحمله من صراعات ظاهرة وخفيّة، يقف من ورائها أسلافهم الذين أجّجوه بعدما عرفوا ما عرفوا من حقائق عن هذه اللّغة المفضية بمرونتها إلى قراءة كلّ نصّ بما يفهم من لفظها، الذي يمكّن قارئه من الانعطاف كلّما أراد ذلك، فقوّلوا أساطين الفكر قديما ما لم يقولوا، وشكّكوا في عقيدة بعضهم، وحملوا على عاتقهم أفكارا حاولوا التّرويج لها بالاستناد عليهم بوصفهم مرجعيّة يوثق في لغتها أوّلا.

وما أدرجوه من نقد لتلك الأصول عند تحقيقهم لمؤلّفات "أبي العلاء" مثلا، لهو خير دليل على مرادهم الرّامي إلى زعزعة الثّقة بمن كتبوا هذا الفكر وشيّدوا صرحه قرونا طويلة[4]، ولم يتوقّف زحفهم عند هذا الحدّ بل تعدّاه إلى إنشاء جيل من الطّلبة اعتنقوا مذاهبهم وآراءهم، وراحوا ينشرونها بكلّ وسيلة متاحة ليثبتوا أنّهم قد اكتسبوا فكرا جديدا مستحدثا؛ يقوم على النّقد من الخارج بعيدا عن كلّ زلفى لمرجعيّة يمكن أن تطعن في صدق النّقد البنّاء، فظهر من ينادي بإحلال العاميّة محلّ الفصحى واستبدال الحرف العربي بالحرف اللاّتيني وتغيير المناهج التربويّة[5] لأنّها لا تورّث إلاّ عصبيّة كعصبيّة القبائل قديما، وهذا ما لا يناسب أفق الانفتاح على الحضارة الغربيّة التي أحسنت اختيار سفرائها من المستشرقين، الذين اعتزموا عدم الرّحيل من هذه البلاد، حتّى يشيعوا بين أهلها فكرا من شأنه أن يكون خليفتهم في مواصلة المشوار الذي ارتضوه طريقا تسير عليه أقدام أولئك الذين تشبّعوا بقيمهم ووصاياهم عن قصد أو جهل مسبق بحقيقة الغذاء الذي أطعموه.

أمّا مباحث المستشرقين فهذه هي موضوع الإشكال كلّه، والمستشرقون. كما لا يشكّ أحد ـ ثلاث فئات: فئة المتعصّبين الذين تعلّموا العربيّة في الكنائس لخدمة التّبشير، وهم الأصل، ولأنّ الاستشراق في أوّله كان قد نشأ هنالك بين رجال الدّين... وفئة المستشرقين الذي يخدمون السّياسة الاستعماريّة في الشّرق العربي، وفئة العلماء الذين يظنّ أنّهم تجرّدوا من الغرضين جميعا.

فأمّا الفئة الأولى والثّانية فما نظنّ أكثر أقوالهم في المباحث الإسلاميّة إلاّ جانحا إلى غرض أو مركوسا بقوله إليه، وهم أكثريّة المستشرقين، ولا نظنّ أنّ كلام هؤلاء ممّا يمكن أن يعتمده أحد إلاّ أن يكون مفتونا جاهلا. وأمّا الفئة الثّالثة، فهي أيضا موضع الإشكال، فمن غير الممكن فيما نظنّ أن يتجرّد هؤلاء عن الغرض الخفي الذي يدبّ من وراء الكلام، هذا أنّهم كما قدّمنا ليسوا أصحاب سليقة في فهم النّصوص العربيّة على التحرّي لموضوعها، وتمام الفقه لمعانيها التي يتعاطونها، وإذن فمن واجب قارئ كلامهم أن يقف عند آرائهم موقف النّاقد الذي لا يقبل إلاّ ما تقبله الطّبيعة الفطريّة للغة في المعاني التي يستخرجونها من الكلام، ومع ذلك أيضا فمن عيوب هذه الفئة أنّهم ربّما استخرجوا قولا ضعيفا فاسدا ليس بشيء في تاريخ الإسلام والعربيّة، ثمّ يكتبون وقد اتّخذوا هذا القول أصلا، ثمّ يجرون عليه سائر الأقوال ويؤوّلونها إليه، ثمّ يحشدون لذلك شبها كثيرة ممّا يقع في تاريخ مهمل لم يمحّص كالتّاريخ الإسلامي، وكذلك يلبسون على من لا يعلم تلبيسا محكما؛ لأنّه حشد وجمع وتغرير بالجمع والاستقصاء الذي يزعمون.[6]

فطرائقهم في البحث والاستقصاء هي التي ورّثت منهج الشكّ في نفوس الدّارسين من بعدهم، بالرّغم من إلغائهم لهذه الفكرة عند دراستهم للفكر اللاّتيني القديم، فقد جعل هذا التّراث محكّا لجميع الأفكار التي وردت بعده وكأنّه كتاب مقدّس، بل هو عندهم منزّه عن الخطأ أكثر من كتبهم السّماويّة نفسها، فما أنتجته الحضارة اليونانيّة والرّومانيّة لهو الدّستور المقيم لحجّة أولئك عند اختلافهم، بما في ذلك أنصار الحداثة اليوم الذين نهجوا المنهج نفسه واحتكموا إلى الفكر اليوناني بمنطقه وأساطيره. حيث اتّخذوا منه أصلا يقيسون عليه كلّ جديد مبتكر بعدما كانوا قد أنكروا ذلك على القدماء من نحاة العرب، حين اتّهموهم بمحاكاة المنطق الأرسطي في بناء القاعدة النحويّة، التي كانت من أوسع مداخل المستشرقين في قضّ صرح اللّغة العربيّة وقذفها بكلّ هجين ساخر فيه من الضّيم الشّيء الكثير، الذي ألهب شعور أبنائها وأغاضهم منهجها الأوّل في البناء؛ دون ربط كلّ ذلك بواقعها في زمن استخراج قواعدها التي أسّست للذبّ عنها والحفاظ على لسانها، فإن كان لهم من الأمر شيء فيما ذهبوا إليه، فلينطقوها سليمة صحيحة كما ولدت وشبّت قبل أن يتسرّب إليها اللّحن.

لهذا قال "محمد البشير الإبراهيمي" إنّ أشدّ ما ننكره على مجمعنا (يقصد مجمع اللغة العربية بالقاهرة) استعانتهم بالمستشرقين في شأن هو من خصائص الأمّة العربيّة، ومتى رأينا مستشرقا بلغ في العربيّة وفهم أسرارها ودقائقها ومجازاتها وكناياتها ومضارب أمثالها ما يبلغه العربي في ذلك كلّه؟...على أنّ بعض أولئك المستشرقين الذين كانوا أعضاء بهذا المجمع، كانوا مستشارين في وزارات الخارجيّة في بلدانهم، وهذا قادح آخر يضاف إلى قادح قصورهم في اللّغة العربيّة[7]، فلم يكن شغلهم الشّاغل إذن خدمة اللّغة العربيّة وتقديمها جاهزة إلى أهلها، وإنّما الاستفادة منها والوصول إلى غايات أبانت الأيام عن حقيقتها.

لقد قدّمت هذه اللّغة الكثير لأولئك المستشرقين حين أحسنوا استثمارها: بأن جعلتهم سادة وعلماء بعدما كانوا شوارد لا نعلم أصول أكثرهم، كما أنّها استطاعت أن تحرّر فكرهم في بدايات إطّلاعهم على التّراث خاصّة، بعدما وجدوا فيه جميع الرّوابط التي تجمعهم بأسلافهم من

اليونان والرّومان والحضارات القديمة، التي لم يكن لهم ليطّلعوا عليها لولا تلك الجهود المضنية التي بذلت في ترجمة ذخائر تراث الحضارات البائدة مع قلّة الوسائل التي توافرت لديهم اليوم، فاعتمدوا عليها في نقل التّراث العربي إلى الغرب ومدّه بكلّ مبعث لاستنهاض الهمم، فكان لهم أن تأسّست عندهم هذه النظريّات اللّغويّة المعاصرة التي أعدنا نحن نقلها واعتبرناها من حرّ فكرهم وخالص جهدهم؛ بالرّغم من وجود قرائن كثيرة تشير إلى وصول هذه النظريّات وأنّها تزييف وتبديل لبعض ما قاله القدماء، فما جهدهم إلاّ نقل بعد نقل وشتّان بين الأوّل والثّاني، فنقلهم الأوّل كان عن أصل متين موثّق له أكثر من دليل على صحّته أو بطلانه، لكنّ نقلهم الثّاني هو التزييف والبتر عن الأصول، وكأنّ الفكر عموما عندهم انطلاق من فراغ لا تراكميّة فيه، فهم إن تسنى لهم العزو وأقرّوا به نسبوا كلّ ذلك إلى حضارتين لم يتّصلوا بهما لولا واسطة العقد التي أسّست لما هم عليه الآن من ثراء معرفي نحسدهم عليه.

ثانيا: اللّغة والإعلام في زمن العولمة

الإعلام هو النّافذة الأولى التي يطلّ منها الإنسان على العالم، يرى من خلالها ثقافته وحضارته وتقدّمه، وقد كان منذ القديم ولا يزال وسيلة مهمّة من وسائل تكوين الفرد وخلق المواقف والاتّجاهات، إنّه السّبيل الأقوى إلى المعرفة، والأداة الفعّالة في التنمية وتطوير الوعي الجماهيري، حتّى إنّ الثورة الإعلاميّة التي نعيشها اليوم أصبحت قادرة على تحديد مسار التطوّر البشري في عالم أصبح لا ينفصل عن بعضه إلاّ لماما، بفضل هذه الوسائل التي تمكّنت من الانفتاح على جميع دول العالم، وإسماع صوتها وبثّ آراء من يقف وراءها دون حاجز يمنعها، فاختيار القناة أو الصّحيفة لا يحدّده إلاّ صاحب الشّأن المتمثّل في شخص القارئ، الذي ليس من حقّه أن يحكم على ما يشاهد أو يسمع أو يقرأ إلاّ بعد المتابعة المستمرّة لكلّ ذلك بحياديّة مطلقة، وهو الذي يجعله تحت وصاية هذه الوسائل؛ أي أنّها هي التي تشكّل طبيعة فكره انطلاقا ممّا يقدّم له سواء أكان مفيدا أو عكس ذلك؛ المهمّ أنّ المتلقّي له كامل الحريّة في الاختيار، لأنّ وسيلة الإعلام لها الحقّ نفسه فيما تراه مناسبا لجمهورها لأنّ عين النّاقد لا تلاحقها في الغالب نظرا لتسارع المادّة الإعلاميّة وكثافتها.

إنّ أوعية الإعلام كثيرة ومتنوّعة وقد تعدّدت وسائطها بشكل لافت للانتباه، وكلّ وسيلة من تلك الوسائل لا يمكنها الاستغناء عن اللّغة نطقا وكتابة، بالرّغم من وجود الصّورة التي كثيرا ما تعمل على تلخيص الكثير من المشاهد، ولو حتّى على صفحات الجرائد والمجلاّت، غير أنّ اللّغة استطاعت من قبل أن تكون بديلا عن الصّورة عندما ظهرت أوائل وسائل الإعلام، حيث قدّمت خدمة مزدوجة تعبيرا وتصويرا؛ لأنّ المذيعين في الزّمن الأوّل لظهور هذه الوسائل كانوا يعتمدون اللّغة المشحونة بكلّ ظلال المعنى، حيث يركّزون كثيرا على الإلقاء وسلامة النّطق وقوّة الإيقاع وحسن اختيار التّعابير المناسبة، فكان المستمع يكتفي بكلّ ذلك ويحدث لديه التصوّر الكامل حول الحدث، والدّليل على ذلك هو بقاء صورة الصّوت في الكثير من وسائل الاتّصال المعاصرة، التي

تبدأ أوّل ما تبدأ بمعزل عن الصّورة الحقيقيّة التي لم نشهد في وسائل الإعلام استقلالها عن اللّغة.

وتمتلك العولمة أحدث وسائل الاتّصال وتكنولوجيا المعلومات للتّأثير في النّاس، وتتمثّل في الأقمار الصناعيّة، والكوابل المحوريّة والألياف الزجاجيّة، والحواسيب، وشبكات المعلومات والانترنت، فضلا عن وسائل معاصرة أخرى كافيديو تكس، والتلتكس، والتلفزة عالية القدرة، والأقراص المضغوطة[8]، وهذه مكّنت من ظهور وسائل الاتّصال الرقميّة، وطرق المعلومات السّريعة أو فائقة السّرعة. لقد ارتبطت العولمة بانفجار تقنيات الاتّصال وثورة المعلومات بحيث أصبحت هذه الأخيرة أداتها الأساسيّة في النّشوء والتطوّر، وفي الهيمنة والسيطرة، وفي تحريك النّاس باتّجاه واحد بما يحقّق أهدافها على جميع الأصعدة. وهكذا أصبح العالم كلّه أمام منطق جديد يشتغل مع الفضاء الإلكتروني لا تعود معه الأشياء على ما كانت عليه، نحن إزاء عالم افتراضي أثيري لا يتألّف من أشياء عينيّة، ولا من مفاهيم ذهنيّة، بل يتركّب من وحدات لا لون لها ولا وزن و لا حجم، بل هي عبارة عن فيض متواصل من العمليّات عبر الشّبكات والقنوات، إنّها الكائنات العدديّة تحلّ محلّ الأشياء المصنوعة بعد أن حلّت هذه محلّ الأشياء الطبيعيّة، شاهدة على طور تقني جديد يتجاوز العصر الصّناعي.

فاللّغة تتأثّر في ارتقائها بمجموعة من العوامل، أهمّها العامل الإعلامي؛ وخاصّة الذي يربط الصّورة بالصّوت، فعلى الشاشات يتقرّر مصير اللّغة، كما تعمل على مزيد من حصيلة المستمع اللّغوية تلقائيّا، ولذا تعتمد في محو الأميّة بشكل كبير، كونها تدفع إلى التّقليد، علما أنّ ظهور الرّاديو كذلك عمل على تطوّر كلمات اللّهجات المحكيّة، بحيث صار الكلام العادي تدخله كلمات مفصّحة، والإعلام أحد الرّكائز المهمّة التي تعتمدها الشّعوب في إظهار تراثها وإبراز ما عليه من منعة. ومن هنا كانت اللّغة في الإعلام ذات سلطان متميّز باعتبارها من أهمّ وسائل التّطوير في حياة الإنسان، وأنّ اللّغة سلطة والإعلام سلطة، ويلتقيان في تكوين الجمهوريّة الرّابعة، فإذا التقيا على بيّنة وحجّة استطاعا تحديث التّغيير في السّلوك العام، وفي ذات اللّغة في وقت واحد. فلا مراء في أنّ الحضارة تشتقّ طابعها من وسيلة الإعلام؛ الأمر الذي جعل القوميّات الأوروبيّة تزدهر في مرحلة ظهور الطّباعة، كما أنّ الصّحافة أدخلت اللّغات في سياق تطوّر متعدّد الأبعاد، من حيث نقل التّراث وتهذيبه والعمل على الإبداع فيه؛ وبما أضافته من تعابير جديدة، أضف إلى ذلك ما عهدناه من تهذيب الاستعمالات اليوميّة وإدخالها في قوالب صحيحة وبسيطة لتصل إلى القارئ المستقبل سليمة.[9]

لاحظ الباحثون عددا من الآثار النّاجمة عن استخدامات اللّغة في وسائل الإعلام بشتّى ضروبها، وتتجلّى هذه الآثار على الخصوص في الجوانب السلوكيّة والنفسيّة والتربويّة، والنّظرة إلى الأشياء والتّفكير، ومن ذلك أنّ اللّغة تؤثّر في الشّعب المتكلّم بها تأثيرا لا حدّ له، يمتدّ إلى تفكيره وإرادته وعواطفه وتصوّراته، وإلى أعماق أعماقه، أنّ جميع تصرّفاته تصبح مشروطة بهذا التّأثير ومتكيّفة به، وكما يقول " أدوين واكين": "فإنّ جميع وسائل الاتّصال بالجماهير الواسعة الحاشدة لتضطلع على نحو أو آخر بوظيفتين هما: تكوين الرّأي العام وإعلامه، كما أنّها تسلّي

وتبيع (السّلع التي يعلن عنها فيها)، وهاتان الوظيفتان تؤدّيان بصفة مستمرة، وبطريقة مباشرة وغير مباشرة"[10]، وإنّه ممّا لاشكّ فيه أنّ الإعلام المعاصر من أهم عوامل التطوّر اللّغوي.. والذي لاشكّ فيه أيضا، أنّ التزام القائمين على الإعلام، بقواعد الدقّة، من شأنه أن يضبط هذا التطوّر، وأن يضعه في مجراه، فيصبح مثل النّهر تدفّقا.

فرجال الإعلام هم الذين يصنعون الذّوق اللّغوي، ويفرضون الصّواب الذي قد يبدو في أوّل أمره ثقيلا، لكنّه مع الوقت يصبح مقبولا وشائعا، إنّ لغة الإعلام لا تثري زادنا اللّغوي فحسب، بل تمنحنا تصوّرا لطبيعة الأشياء، وحقيقة محيطنا، وأصوب السّلوكات وأكثرها تطابقا مع قيمنا ومثلنا، وعلى سبيل المثال، إذا استعمل الإعلام اللّفظ العفيف والدّقيق، فقد يقتفي آثاره النّاس، بيد أنّه إذا أحاطنا بكلمات الفسق والسّوء والبذاءة، فمن المتوقّع أن يتمّ استخدامها من قبل الجمهور. فاللّغة الإعلاميّة تصبح جزءا من حياة المجتمع، الذي يتّخذها مصدرا لتغذية عقله وتنمية فكره كما هي الحال عليه في الوقت الرّاهن؛ حيث إنّ الإنسان المعاصر لا يستطيع الاستغناء عن وسائل الإعلام، فهي ترافقه منذ لحظات يومه الأولى لاسيما بعدما ظهرت هذه الوسائل المحمولة التي قرّبت المسافة أكثر، وجعلت المتلقّي على صلة مباشرة بالخبر والحدث وإن هو ابتعد عنه طوعا فكلّ ما حوله يعمل على تنبيهه بوصفه وسيلة من وسائل الإعلام، بما في ذلك صديقه الذي هو بجنبه الذي غالبا ما يكون حلقة وصل بين تلك الوسائل ومرافقه الذي انقطع عنها لحاجة شغلته عن المتابعة.[11]

لكن لماذا كانت اللّغة العربيّة من أهمّ مرتكزات الإعلام الذي يسعى لتوظيفها دوما كلّما أراد أن يصل إلى عقل المتابع ووضعه في صورة الواقع الإخباري، وهي ميزة يمكن أن تتوافر في بقيّة اللّغات، غير أنّ هذه اللّغة لها من الخصوصيّة في الاهتمام العالمي؛ لأنّها تعدّ في نظر منظّري العولمة أوسع مدخل للولوج إلى فكر الأمّة العربيّة والإسلاميّة، فهي التي تحمل جملة من الخصائص مكّنتهم من إيصال رسالتهم الإعلاميّة بما فيها من مضامين، وهذه الميزات التي انفردت بها هذه اللّغة وأسهمت في سهولة استثمارها:

- أنّها أكثر أخواتها احتفاظا بالأصوات السّامية.
- أنّها أوسع أخواتها جميعا، وأدقّها في قواعد النّحو والصّرف.
- أنّها أوسع أخواتها ثروة في أصول الكلمات والمفردات.[12]
- إنّ في اللّغة العربيّة من المقوّمات والدقّة الصّارمة والأسس ما يؤهّلها لأن تكون قادرة على أخذ مكانها الصّحيح في هذا العصر.

- الألفاظ العربيّة هي أوزان موسيقيّة، والكلمات ذات الوزن الموسيقي الواحد لها دلالة معنويّة محدّدة.

- اللّغة العربيّة هي اللّغة الحيّة الوحيدة في العالم، التي بقيت دون تغيير في كلماتها ونحوها وتراكيبها منذ أربعة عشر قرنا مضت.

- إنّ اللّغة العربيّة فيها من القواعد الرّصينة والأساليب البلاغيّة ما يضبط الدّلالة على المعاني الكثيرة المعتادة.

- معظم مشتقاتها تقبل التّصريف، إلاّ فيما ندر منها، وهذا يجعلها في طوع أهلها أكثر من غيرها، ويجعلها أيضا أكثر تلبية لحاجة المتكلّمين.[13]

فهذه الخصائص والميزات هي التي مكّنت الإعلام المعاصر من إنشاء خطابات متعدّدة ومتنوّعة يلبسها بكلّ لفظ يشاؤه عند محاولته إقناع متابعيه، وهو ما يظهر جليّا في ومضات الإشهار مثلا التي تقوم عادة على التّكرار المتواصل الذي يضمن رسوخ الرّسالة المراد إيصالها إلى المتلقّي، الذي إن لم يقرأ صحيفة سمع مذياعا أو شاهد قناة من القنوات الكثيرة التي أصبحت هي ومثيلاتها من وسائل الإعلام، في شكل صراع خفيّ يضمر أحيانا ويطفو على السّطح أحايين كثيرة. وما خلفيّة هذا الصّراع إلاّ في كيفيّة اكتساب أكبر كمّ من المتابعين الذين إن حازت عليهم وسيلة من وسائل الإعلام تمكّنت من ترويج كلّ فكرة تصبو إلى إيصالها فالإعلام هو منبر كلّ خطاب مهما كان مصدره، وسيلته الأولى هي نوعيّة الأساليب التعبيريّة الشفويّة أو الكتابيّة التي يوظّفها، وما كثرة وسائل الإعلام التي تبثّ مباشرة من الدّول الغربيّة وتستخدم اللّغة العربيّة مع متتبّعيها لخير شاهد على الطّفرة الإعلاميّة التي يسعى الغرب لتجسيدها من عمق ترابه أوّلا ثمّ إشاعتها على بقيّة الأوساط الإعلاميّة الأخرى، بأن يؤسّس محطّة موازية تجاور مثيلاتها من قنوات العرب أنفسهم وفي عقر دارهم، تريد من خلال كلّ ذلك الوصول إلى جمهورها العربي والإسلامي بلغتهم و بألسنة إخوانهم الذين ربّما شاركوهم الدّين والأرض، لكن اختلفوا معهم في الهدف المنشود من الرّسالة الإعلاميّة؛ أهي نقل الحقيقة كما هي أو العمل لمصلحة جهة معيّنة للذبّ عنها أو إخفاء عيوبها وما تتستّر عليه من أسرار يؤدّي اكتشافها إلى تحطيم صورتها في نظر المنظّمات الإنسانيّة العالميّة، التي تعمل على ملاحقتها وكشف عوارها انطلاقا من محطّة إعلاميّة أخرى، تزعم لنفسها امتلاك حقّ الردّ والنّقد بالنّظر إلى موضوعيّتها التي انتشرت مع مرور الزّمن بين مقتنيها ومتتبّعيها.

والسّؤال الذي يجب أن نطرحه في زمن تعدّد الوسائط الإعلاميّة التي لها كلّ القدرة على اختراق الحدود الماديّة والمعنويّة - نقصد بذلك قوانين الإعلام في كلّ بلد له حريّاته الخاصّة -، هو كيف يمكننا أن نفهم لغة نصّ الخطاب الموجّه في ظلّ تعدّد تفسيرات ألفاظه التي تميّعت وأخذت أشكالا هلاميّة يفهمها كلّ من يسمعها حسب رغبته واتّجاهه الفكري؟ حيث صار الإعلام يتجاوب مع أساليب كثيرة في تبليغ الخطاب الدّيني والسّياسي والاقتصادي، حتّى أصبحنا نسمع عن تأويلات لألفاظ لو جمعت لها جميع معاجم اللّغة قديمها وحديثها لما وجدت لها تفسيرا.

ولأنّ اللّغة في زمن العولمة لم تعد حكرا على مشرّع لقواعدها ومعانيها، فكلّ متصدّر للحديث في منبر إعلامي ما، له الحق كاملا بأن يقول ما يشاء، ثمّ إن هو أخطأ خطأ بيّنا تجمع عليه جماهير الأمّة، سرعان ما يجد لخطئه تبريرا من جهات مختلفة تدّعي لنفسها الفهم الصّحيح. والأمثلة على ذلك كثيرة نلحظها في كلّ فترة إعلاميّة مهما كان محتواها، وخذ كلمة الإرهاب مثلا أو العولمة أو المقاومة أو الدّين أو الإسلام المعتدل أو حتّى مفهوم اللّغة في حدّ ذاتها، فالكلّ له ما يقوله في معاني هذه المصطلحات التي لم يشرذم أبعاد دلالتها إلاّ التواء الإعلام بمختلف مصادره، الذي له أكثر من وجه في تقديم هذه المصطلحات وشرحها للعامّة والخاصّة.

وهو ما يجعل الإعلام دائما في بؤرة الاتّهام: لأنّه لسان كلّ جهة تريد أن تقتحم عقل البشريّة بفكرة جديدة تبدو للوهلة الأولى أنّها نابية لا يستسيغها الذّوق السّليم، كأن تجرح شعورا أو تخدش حياء. لكنّ هذا في ظلّ عدم وجود المرجعيّة الأخلاقيّة في الإعلام المعاصر سرعان ما يتحوّل إلى شيء مألوف نرضى وجوده و نتداوله مصطلحا بيننا، ثمّ نضمّنه مختلف النّصوص بما في ذلك الأجناس الأدبية التي صارت تستقي مصطلحاتها من الإعلام بوصفه أقرب وسيلة من الجماهير.

فضاء استثمار اللّغة وأساليبها في ميدان الإعلام فضاء واسع هو الذي سيشكّل الخطر الدّاهم لزعزعة أصالة الفكر أيّا كان مصدره ثمّ العبث به باسم حريّة الإعلام. التي أتاحت الفرصة لطوائف فكريّة شاذّة ما كان لها أن تظهر لولا التسرّب الخفيّ لمصادرها من خلال منابر الإعلام. التي ترى جودتها في نوعيّة كلّ جديد تقدّمه، حتّى وإن لم يحظ بقبول لدى جماهير المتتبعين، لأنّ كثرة هذه المحطّات الإعلاميّة المكتوبة والمسموعة والمرئيّة والرقميّة صعّب من مراقبتها والكشف عن مفاسدها، غير أنّ هذه الأمّة لم تجتمع يوما على ضلال كما قال النّبي - صلى الله عليه وسلّم -. فهناك العشرات إن لم نقل المئات من المحطّات الإعلاميّة التي تعمل جاهدة على توحيد الرّؤية. انطلاقا من توحيد المصطلح باستخدام لغة إبلاغيّة واضحة لا لبس فيها، بل تسعى جاهدة لتمرير ما من شأنه أن يصحّح المفاهيم ويدافع عن القيم ونشر المعرفة وإعادة بعث مقوّمات هذه الأمّة، ونشرها خارج حدود البيئة الجغرافيّة العربيّة والإسلاميّة: حيث جعلت هذه المحطّات الإعلاميّة من نفسها أنموذجا يحتذى لتحرير العقل من قيود الوهم والاستغراب، وذلك من خلال تكريس استخدام اللّغة الرّاقية وتكييفها مع متطلّبات الوعي المعاصر الذي يفهمها ولا يستهجنها بترديد ما قاله أعداؤها: لأنّ وسائل الإعلام المحترمة قامت شواهد على بطلان كلّ تلك المزاعم وفنّدتها.

ثالثا: اللّغة العربيّة وشبكة المعلومات العالميّة

يعدّ مصطلح المعلوماتيّة من أوسع المصطلحات التي استطاعت أن تضمّ تحتها كلّ مجالات الإعلام الرّقمي بما في ذلك الكتابة الإلكترونيّة وغيرها من الوسائط الأخرى، التي حوتها وحوت الصّورة معها وانسابت كلّها في شبكة المعلومات العالميّة(الانترنت): التي أصبحت بديلا إعلاميا يعمل تدريجيّا على إلغاء الوسائل الإعلاميّة النّظاميّة. إذ يحاول إدراجها ضمنه بوصفه يمتلك كفاءة من حيث السّرعة والاختزال والاختزان، وهذا ما جعله مطلبا أساسا بالنّظر إلى تسارع الحياة المعاصرة للفرد التي أملت عليه ضرورة الاستعانة بهذه الوسيلة. التي صارت في متناول الجميع بما في ذلك الدّول النّامية التي بحثت طويلا عن مصادر المعلومة ومنافذ الإعلام. فعند ظهور شبكة المعلومات العالميّة أصبح بوسع مجتمعاتها الإطلاع على كلّ مستور ممنوع، لاسيما في مجال المعارف بوصفه الحاجة الملحّة التي تعطّشت المجتمعات العربيّة لاكتسابها: خاصّة ميدان التّقانة الذي بات متيسّرا على الأقل في حدود الاستعمال العالمي الذي يجعل من الجميع شركاء في المعرفة الإنسانيّة، حتّى وإن كانت الدّول المتقدّمة تسعى لحجب بعض إمكاناتها العلميّة عن غيرها، لكنّ وجود هذه الشّبكة مكّن من تسرّب كمّ كبير من المعلومات لم يكن لها لتقع بين أيدي المستفيدين منها لولا هذه الوسيلة.

فالنّشر الإلكتروني مثلا مكّن من الإطلاع على أجناس فكريّة مختلفة ومتعدّدة ومنح الفرصة لأصحاب الرّأي بأن يبثّوا دواخل فكرهم ضمن قوالب نشريّة لا يقف أمامها حائل، بل إنّها سرعان ما تنتشر بين أوساط المستخدمين لهذه الوسيلة التي إن لم تحقّق مواقعها المختلفة البغية استعانت بوسائط أخرى أكثر اختزالا وديمومة، وإنّ هذه المساحة الإعلاميّة الكبيرة أنجبت الكثير من أنماط الصّراع الحضاري حيث تزعّم فئة من المتخصّصين المناورة الفكريّة داخل هذه الشّبكة من خلال ما ينشرونه وما يبثّونه، قصد تجلية العديد من الحقائق التي تزايد خطرها مع مرور الوقت وسرعة تطوّر هذه الوسائط الإلكترونيّة، التي باتت تهدّد منتجيها الأوائل أنفسهم الذين أحسّوا بغزو داهم من الدّاخل والخارج. فشعوب تلك الدّول المتقدّمة لم تعد بمنأى عن مصادر فكر غيرها وطبيعة إرثهم الحضاري الذي بدأ يؤتي ثماره بأن تأثّرت به فئات كثيرة من تلك المجتمعات، لاسيما ما تعلّق منه بالإسلام وتعاليمه وحضارة العرب وما خلّفوه من تراث، أمّا من الخارج فهو الاستقطاب المذهل الذي حقّقته هذه الشّبكة لمستخدميها من الدّول النّامية التي عرفت من خلالها حدود موقعها ومكانتها، في ظلّ تنامي الباحثين عن مقدّرات وخيرات تلك الدّول المتقدّمة ثمّ السّؤال عن مصدر كلّ ذلك.

ويعدّ الشّكل الرّقمي للاتصالات التي تجري باستخدام الانترنت عاملا جوهريّا من العوامل التي تسبّب المشكلات التي تمثّلها الانترنت للدولة، وربّما جاز للمرء أن يطرح فرضا يقول بأنّ قدرة الدّولة على إدراج الأفراد في الهويّة القوميّة ليست ممكنة إلاّ من خلال نظام من وسائل الاتّصال غير الرقميّة. ما السّبب في هذا؟ من حيث المبدأ، تمكّننا المعلومات الرقميّة من استخراج عدد لا نهاية له من النّسخ المطابقة للأصل تماما بلا تكلفة تذكر، إنّ القوانين الوطنيّة التي تحكم الثّقافة تنطلق من افتراض أنّ ثمّة شكلا ماديّا يقتضي أن يكون النّسخ معتمدا على وجود أصل واحد تستخرج منه النّسخ، ولكي تتحكّم القوانين الوطنيّة في الثّقافة (الملكيّة الفكريّة)، لابدّ من شيء أصلي يوجد في شكل مادي ليس من السّهل نسخه، ولكن ما إن يكتسب هذا الشّيء الثّقافي الأصلي شكلا رقميّا حتّى يفقد الامتياز الذي خصّته الدولة به؛ أي قدرته على التحكّم في النّسخ التي تصنع منه، ومن ثمّ يتملّص من قبضة القوانين التي يمكن أن تتحكّم فيه.

أضف إلى ذلك أنّ المعلومات الرقميّة يمكن نقلها بدون اعتبار للمحطّات التي أقامتها الدولة لمراقبة حركة هذه المعلومات والتحكّم فيها. فالمعلومات الرقميّة يمكن أن تحتوي على تعليمات أو أوامر عن وجهتها تمكّنها من التدفّق في داخل شبكة بلا مركز، أمّا المعلومات غير الرقميّة فمن الممكن، شأن الأحاديث الهاتفيّة، مراقبتها والتحكّم فيها من خلال محطّات تنشئها الدّولة، فمن السّهل أن تخضع مكاتب البريد والبرق، ودوائر شبكات الهاتف، وتراخيص البثّ الإذاعي والتلفزيوني، وشركات توزيع الأفلام السينمائيّة والتّسجيلات الصوتيّة لشبكات الطّاقة الكهربائيّة التي تستمدّ سلطانها بداية من الدّولة، وفي هذا تختلف الثّقافة الرقميّة عن الثّقافة غير الرّقميّة.[14] ففي الانترنت توضع المعلومات في حزم عدّة مكرّرة مع احتواء كلّ حزمة منها على تعليمات بشأن توصيلها إلى وجهة معيّنة، هذه الحزمة تجري اتّصالا مع نقاط تحويل غير ثابتة تعمل آليا، أمّا عنوان المرسل إليه المكتوب على الرّسالة فإنّه يمرّ من خلال محطّات بريديّة معلومة

مسبقا، في رحلة يمكن توجيهها أو إعاقتها في أيّ نقطة من النّقاط التي تمرّ بها وتتطلّب المحادثة الهاتفيّة غير الرقميّة دائرة مفتوحة من السّهل مراقبتها، أمّا الرّسالة الرقميّة - نصّا كانت أم صوتا أو حتّى صورة متحرّكة - فإنّها تنتقل في مسار تتمتّع فيه باستقلالها ذاتيّا إلى أن تصل إلى وجهتها بدون نظر لنقاط المراقبة التي أنشأتها الدولة، ولهذه الأسباب صارت الثّقافة الرقميّة قادرة على فصل نفسها عن نطاق سلطات الدولة وصلاحيّتها، إذ تسري بين أرجاء الكرة الأرضيّة بسرعة الضّوء (على فرض أنّ عرض النّطاق الترددّي المتاح يسمح بذلك) في داخل مجال اتّصالات غير خاضع للسيطرة، هذا التبدّل في الشّكل المادّي للثّقافة من غير الرّقمي إلى الرقمي يمكّن المعلومات، من حيث المبدأ من التهرّب من علاقات القوّة على الصّعيد القومي.[15]

فما اعتقده الغرب من احتكار في هذه الشّبكة ووسائطها أصبح يتضاءل رويدا رويدا في نظرهم، حينما اكتشفوا قدرة أولئك الذين استبعدوهم من قبل عن حاضرة التقدّم، وأنّهم أقدر على إنتاج بدائل لا حصر لها تسدّ حاجياتهم المعرفيّة وترتقي بها لإنتاج ما لم ينتجه الغرب نفسه، وإنّ الدّلائل على ذلك كثيرة خاصّة في مجال البرمجيّات التي أنشئت لها مؤسّسات تكاد تضاهي ما عليه مؤسّسات الغرب في هذا المجال، لكن بلغة غير اللّغة الأولى، وفكر آخر يؤسّس لقيمة إنسانيّة لم يتعوّدوا هم أنفسهم على تداولها بينهم، وهو الإنتاج المعرفي من أجل تنوير العقول وترقية الوعي، حتّى وإن كان المستفيد منه الدّول المتقدّمة نفسها، وهو ما عاد بالخير على اللّغة العربيّة التي وجدت في هذا التطوّر بدائل كثيرة تعينها على النّهوض والظّهور من جديد، بوصفها مكتسبا حضاريّا ووسيطا علميّا للملايين من البشر، الذين يرضونها بديلا عن غيرها بحكم انتمائهم وتعاملهم اليومي مع هذه الشّبكة ولواحقها، لهذا لجأت الشّركات الأجنبيّة لإنتاج ما يلائمهم من برامج قصد الوصول بإنتاجها إلى أكبر عدد ممكن من المستخدمين؛ أي هناك اتّجاه متسارع للإصدار المزدوج باللّغة الأصيلة واللّغة العربيّة؛ لأنّها من أهمّ أطراف الصّراع في الفكر الحضاري الرّاهن.

كثيرا ما شاع أنّ اللّغة العربيّة قاصرة بألفاظها ومعانيها عن مواكبة مستحدثات العصر في مجال التّقانة والصّناعات المختلفة، لذا نجد معظم المصطلحات التي تكتب عادة على واجهة المنتوجات معرّبة تعريبا جزافيا بحسب ثقافة المنتج؛ لأنّ مؤسّسات تعريب المصطلح في الوطن العربي على خلاف في الاتّجاه العلمي في قضيّة الترجمة، كما أنّها لا تعمل على نشر ما أصدرته من كشّافات مصطلحيّة، غير أنّ كلّ ذلك لم يمنع هذه اللّغة من اقتحام ميادين المعلوماتيّة المعاصرة بفعل مدّ العولمة، الذي فتح حدودا معرفيّة كثيرا ما استغلقت بسبب تقصير هيئات علميّة في دول نامية كالوطن العربي[16]، لهذا صار من الضّروري بمكان تدعيم استخدام اللّغة العربيّة في مجال المعلوماتيّة، لأنّ هذه الأخيرة هي قلب العصر وأداة العولمة، وذلك نظرا للأبعاد الاقتصاديّة والاجتماعيّة، والثّقافيّة والعلميّة والتعليميّة التي ينطوي عليها هذا الاستخدام، وهو الأمر الذي حفّز العديد من الشّركات الأجنبيّة إلى المبادرة لوضع البرامج والخطط لتسهيل استخدام اللّغة العربيّة في المعلوماتيّة وفق أفضل السّبل وأنجع الوسائل كما أشرنا سلفا، وقد لجأت مثل هذه الشّركات الأجنبيّة إلى تصنيع برامج باللّغة العربيّة لحاجتها الملحّة في التّعامل مع العالم العربي

والإسلامي خاصّة في مجال الصّناعات الاقتصاديّة، والهدف من وراء هذه البرامج التي تنتجها الشّركات الغربيّة تجاري محض لا علاقة له بترقية اللّغة العربيّة.

وقد ظهرت مؤسّسات في دول عربيّة عملت على تطوير برامج الحاسوب الآلي، من أهمّها المنظّمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم، والمنظّمة السّعوديّة للتّوحيد القياسي، والمركز القومي للحاسبات في العراق، والمركز القومي للبحوث في مصر، فضلا عن معهد الدّراسات الإحصائيّة التّابع لجامعة القاهرة، ومركز المعلومات القومي بدمشق.[17] فهذه المؤسّسات قامت بجهود معتبرة قصد ترقية استعمال اللّغة العربيّة في وسائل الإعلام والاتّصال لاسيما في مجال تعريب المواقع الإلكترونية وبرامج تشغيل الحواسيب، لكن ثمّة مشاكل تعترض سبيل هذه المؤسّسات، تتعلّق بطبيعة الحرف العربي الذي لا يوافق منطوقه رمزه الخطّي، ممّا جعل بعض الدّوائر الرسميّة تستبدله بالحرف اللاّتيني، أو لكي تتمّ عمليّة التّطابق بين الألفاظ الأجنبيّة المعرّبة والكتابة، مثل كلمة الإنجليزية، التي ترسم تارة بالجيم، وتارة بالقاف المثلثة التي لا وجود لها في الصّوت العربي، ولا في لوحة مفاتيح الحاسوب، وهناك إشكاليّات أخرى تطرح وهي عدم القدرة على معالجة الجمل، استخراج الجذور، تطبيق الأوزان، وضع خوارزميّات للّغة، توفير تطبيقات تلبّي حاجة المستفيد، وغياب مفهوم السّياق.[18]

إنّ على المهتمّين بقضايا تعريب الحواسيب إعطاء الأولويّة للغوص في مشاكل اللّسانيّات الحاسوبيّة قصد وضع اللّغة العربيّة على قدم المساواة مع اللّغات العالميّة الأخرى، لأنّ معظم جهود تعريب الحواسيب التي مازالت تأتينا من الخارج تضع نصب أعينها قضيّة التّسويق قبل أيّ شيء آخر، لأنّ همّها هو الرّبح وليس جعل لغتنا في مستوى العصر، علما بأنّ من واجبنا الإشادة بما تقوم به بعض المؤسّسات العربيّة المذكورة سلفا، التي تقوم بجهود علميّة مشكورة لمعالجة مشكلة اللّغة العربيّة والعولمة بصورة جذريّة، من خلال وضع حلول كفيلة بجعلها لغة العصر، ولغة التقدّم العلمي والتّكنولوجي، إنّ وجود لغات عربيّة للبرمجة ليس هدفا في حدّ ذاته، بل إنّ الوصول إلى تنمية القابليّة على التّحليل الوصفي للمسائل، وضرورة توجيه المستخدمين لإتقان أسس تحليل المسائل بلغتهم الأم هو الهدف الأعم للوصول إلى تجذير المفاهيم المعاصرة في الأذهان، وكذلك السّعي لتبادل الخبرات والإعداد للمشاريع الجديدة واستلهام التّراث العلمي العربي القديم، والاستعانة بتقنيات الحاسوب ومواكبة التطوّرات في كلّ الميادين، وهذه بحق دعوة أكيدة لإقامة علاقات متينة بين حضارتنا العربيّة ولساننا العربي وبين الثّقافة العالميّة، مع الإسراع في فهم وتبيين الأفكار الفاعلة والقدرة على تغيير مفاهيم الجهل والتخلّف والشّعور بالنّقص.[19]

لقد حظيت اللّغة العربيّة حديثا مرّة أخرى باعتراف العالم منذ عام 1982 عندما أصبحت إحدى اللّغات الرسميّة الأولى في الأمم المتّحدة إلى جانب اللّغات الخمس الكبرى، دون أن يحرّك فينا هذا الاعتراف ما يستحقّه من اعتزاز ودعم وافتخار بلغتنا، التي أعطت العالم علما ومعرفة قرونا طويلة من الزّمن، لقد حلّت إشكاليّات الحرف العربي في مجملها ليناسب المعلوماتيّة الحديثة وتكنولوجيا الحاسوب، وأصبحت المعدّات والتّجهيزات اللاّزمة لذلك متوفّرة بصورة مناسبة، كما أنّ النّظم الأساسيّة ونظم التّشغيل أيضا أصبحت تسمح باستخدام الحروف العربيّة.

فشركة ميكروسوفت وهي أكبر شركة في ميدان الحواسيب والمعلوماتيّة على مستوى العالم، وفّرت عدّة نظم حوسبة ميكرويّة تأخذ بعين الاعتبار خاصيّات اللّغة العربيّة،[20] ويبقى ضعف المصطلحات العربيّة عائقا أمام تعريب المعلوماتيّة ونشرها والاستفادة منها على أحسن وجه.

لكنّ ذلك لم يمنع من استغلال شبكة المعلومات والحواسيب في تطوير اللّغة العربيّة من خلال البرامج المختلفة التي عملت على تقسيم اهتماماتها باللّغة وفق مستوياتها الخمسة، فمن تلك البرامج ما انشغل بالجانب الصّوتي، ومنها ما حاول دراسة المستوى الصّرفي والنّحوي، وهناك برامج كثيرة ارتبط اختصاصها بالمعجميّة العربيّة؛ لأنّ عمليّة حوسبة المفردات وهي مستقلّة انطلاقا من جذورها أيسر من معالجتها ضمن سياقات، لهذا فقد تطوّرت الدّراسات المعجميّة كثيرا بوجود الحاسوب الذي مكّن من الإحصاء والتّصفيف والتّصنيف حسب الحقول الدلاليّة المتنوّعة، كما أسهم الحاسوب عن طريق شبكة المعلومات العالميّة في تبادل الخبرات العالميّة في قضيّة صناعة المعاجم والفهارس التي تساعد على متابعة هجرة الكلمات، وقياس نسبة التّأثير والتأثّر بين اللّغات المختلفة عند احتكاكها ببعضها في واقع الاستعمال، وهو ما مكّن من اكتشاف طغيان ألفاظ اللّغة العربيّة على الكثير من اللّغات الأجنبيّة التي لازمت المجتمعات العربيّة كثيرا، قديما وحديثا، بدءا من العصر الأندلسي إلى اليوم، خاصّة اللّغات العالميّة مثل اللّغة الفرنسيّة والإنجليزية والأسبانية، هذه اللّغات التي تضمّنت ألفاظا عربيّة كثيرة بحكم الجوار والاستعمار.

كما أنّ شبكة المعلومات العالميّة مكّنت من ازدهار فنّ التّرجمة من خلال مواقع تعليم اللّغات، الذي أصبح يأخذ بعين الاعتبار اللّغة الأصيلة ومحاولة تقريب معانيها وألفاظها عند التّرجمة الأوليّة، لكي يتسنّى للمتعلّم الفهم البسيط لخصائص اللّغة التي يريد تعلّمها، ممّا ساعد على حضور اللّغة العربيّة في جميع مواقع التّرجمة والإعلانات و الإشهارات، خاصّة تلك المرتبطة بوظائف العمل والجامعات الافتراضيّة التي تسعى لاستقطاب متعلّمين من جميع أنحاء العالم. غير أنّ أكبر استثمار حقّقته برامج الإعلام الآلي في مجال اللّغة هي تلك المنتجات الرقميّة المتعلّقة بالجانب التعليمي التثقيفي نظرا لسهولة استخدامها وحملها وقلّة كلفتها، فهذه البرامج مكّنت المستخدم العادي من تعلّم أبجديّات اللّغة العربيّة دون محاصرته بعامل الزّمان والمكان، ومن أمثلة تلك البرامج التي بدأت تلقى رواجا بين أوساط المتعلّمين خاصّهم وعامّهم البرامج الثّقافيّة المتمثّلة في المسابقات العلميّة وكذا برامج تعليم الإملاء والخط والنّحو العربي، حيث تعدّدت أشكال هذه البرامج وتنافست الشركات في إنتاجها من منطلق التّيسير وسرعة التّعامل.

عند حديثنا عن إمكانات اللّغة العربيّة في كلّ عصر لابدّ أن نستحضر قول القائل: "أعطوني العلماء أعبّر لكم عمّا لم تنطق به الألسن من قبل"[21] فلا يمكن إذن أن تتقدّم العربيّة و أن تتجدّد في الميدان العلمي والفلسفي والاقتصادي والفنّي ما لم يتكوّن من أبناء العربيّة علماء راسخون في العلوم سائرها والفنون كافّة، ينتجون في جملة فروعها، ويكشفون اللّثام عن مفاهيم ما فتئت تتجدّد ويستنبطون طرقا مستحدثة، فيعبّرون عنها بما يرونه لائقا بها موافقا لمدلولها ومضمونها. ويزيد ذلك اللّغة ثراء ويبعث فيه دما حيّا فتصير متبنّية للمعاني الجديدة، وعنها تؤخذ

وتنقل إلى سائر اللّغات، ويتيسّر بذلك التّبادل بينها، ويتّسع مجال اللّغة ويتضخّم ما بين دفّتي معاجمها.

خلاصة الدّراسة

1. تحدّيات اللّغة من تحدّيات أمّتها لأنّها اللّسان الذي إن قطع أو صمت ضاعت هويّة الأمّة ونهب فكرها وإنتاجها المادّي؛ لأنّ غيرها إن لم يجد لغّة تنطق عن أمّتها سارع لإحلال لغته محلّها.

2. الدفاع عن اللّغة العربيّة إن عدّه البعض عصبيّة فهو بالنّسبة إليهم انسلاخ تمجّه البشريّة كلّها.

3. بوادر عودة اللّغة العربيّة متيسّرة في ظلّ مدّ العولمة التي تواجه في النّهاية عالما واحدا وتسعى للنّيل منه، وهو العالم الإسلامي الذي لن يتمكّن منظّروها منه إلاّ إذا خاطبوه بلسانه.

4. كثرة وسائل الإعلام النّاطقة بالعربيّة في الغرب تعمل على خدمة اللّغة وانتشارها من حيث لا تدري؛ لأنّ العاملين في هذه المحطّات الإعلاميّة غالبا ما يتعلّمون اللّغة على أصولها بعيدا عن مزيج اللّهجات والعاميّات.

5. إنّ المواقع الإلكترونيّة التي تجتهد في تعليم اللّغة العربيّة هي نقطة العبور إلى العالم الآخر الذي يريد أن يلج عالمنا ويقرأ فكرنا؛ لأنّ تلك المواقع تعرض خدماتها على نطاق واسع لا يحدّه مكان ولا زمان.

6. رغبة الغرب الجامحة في نشر فكره واستقطاب أكبر عدد ممكن من الأفراد، يجعله مجبرا على القيام بالتّرجمة العكسيّة، أي أنّه هو الذي ينشئ مؤسّسات التّرجمة من لغته إلى اللّغة العربيّة قصد تيسير وصول المعلومة في وقتها.

7. التّرويج للسّلع والبضائع من أهمّ وسائل تسويق اللّغة على نطاق أوسع، مع أنّ ذلك سيسهم في تحريف بعض المصطلحات اللّغويّة نظرا لتسارع عمليّة الإنتاج المادّي وتباطؤ عمليّة التّعريب، التي لم تجد إلى حدّ الآن أنجع الوسائل لمواكبة التطوّر الصّناعي المعاصر.

8. تفعيل دور التّرجمة الفوريّة في وسائل الإعلام وشبكة المعلومات العالميّة سيسهم حتما في انحسار مدّ اللّغات الأجنبيّة وطغيانها على اللّغة العربيّة.

9. هجرة الملايين من العرب إلى الدّول الغربيّة سيقلّص من غربة هذه اللّغة في تلك البلدان؛ لأنّ المهاجرين فرضوا واقعا استثنائيّا وهو بناء المدارس والمؤسّسات الدّينيّة لتعليم اللّغة والدّين الإسلامي.

10. تكاثر الشّركات الأجنبيّة المتعدّدة الجنسيّات في الوطن العربي سيجبرها على تعلّم اللّغة العربيّة للاستفادة من خدمات المجتمعات العربيّة ومن تلبية حاجياتها بشكل أكبر عند حدود التّعامل والممارسة.

الهوامش:

(1) محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، (د، ط)، (د، ت)، ص 409.
(2) كمال بشر: علم اللّغة الاجتماعي(مدخل)، دار غريب، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة، 1997م، ص 28.
(3) عبد السلام محمد هارون: قطوف أدبية دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، مكتبة السنة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1409هـ/1988م، ص 37.
(4) ينظر ما كتبه الأستاذ "عبد العزيز الميمني" حول ما أثاره المستشرقون من مزاعم في كتابات "أبي العلاء المعري"، عبد العزيز الميمني: بحوث وتحقيقات، أعدّها للنّشر: محمد عزير شمس وآخران، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1995م، ج1/102.
(5) ينظر محمود محمد شاكر: أباطيل و أسمار، ص 107 وما يليها.
(6) محمود محمد شاكر: جمهرة مقالاته، جمع وتقديم: عادل سليمان جمال مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 2003م، ج1/126.
(7) الإمام محمد البشير الإبراهيمي: آثاره، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1997م، ج5/293.
(8) عبد اللطيف الصوفي: العولمة وتحديات المجتمع الكوني، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة - الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص 50.
(9) صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، دار هومه، الجزائر، (د، ط)، 2003م. ص 129.
(10) نور الدين بليبل:الارتقاء باللّغة في وسائل الإعلام، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة - الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص 126.
(11) أحمد بن محمد الضبيب: اللغة العربية في عصر العولمة، مكتبة العبيكان. الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م، ص167.
(12) علي عبد الواحد وافي: فقه اللّغة، دار نهضة مصر، القاهرة - مصر، الطبعة السابعة، (د، ط)، ص 165.
(13) نور الدين بليبل: الإرتقاء باللّغة في وسائل الإعلام، ص 54.
(14) مارك بوستر: الأمم و الهويّات وتكنولوجيات العولمة، ضمن أعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي (القاهرة - نوفمبر، 2000) ينظر عز الدين إسماعيل:العولمة والنظريّة الأدبية، مطابع المنار العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 2003م، ص 5.
(15) المرجع نفسه، ص 6.
(16) عبد الكريم خليفة: اللّغة العربيّة والتعريب في العصر الحديث، دار الفرقان، عمان - الأردن، الطبعة الثالثة، 1992م، ص 210.
(17) عبد اللطيف الصوفي: العولمة وتحديّات المجتمع الكوني، ص 146.
(18) صالح بلعيد: اللّغة العربيّة العلمية، ص 103.
(19) عبد اللطيف الصوفي: العولمة وتحديات المجتمع الكوني، ص 147.
(20) محمد بن ساسي:استعمال اللّغة العربية في المعلوماتية، ص 20 نقلا عن المرجع نفسه، ص 146.
(21) محمد سويسي: اللغة العربية في مواكبة التفكير العلمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م، ص 196.